Humans from homosapiens to superhuman Between the momentum of myth and technological development Ethnographic attempt

Received: 29/01/2024; **Accepted:** 09/06/2025

بلعيدي مراد *

جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري الجزائر . mourad.belaidi@univ-constantine2.dz

البشر من الهوموسابينز الى الانسان الفائق بين زخم الأسطورة والتطور التكنولوجي -محاولة إثنوغرافية

ملخص

لقد كان الانسان منذ اكتشافه الكلمات الأولى والكتابة والحرف القديم، مهووسا بالنظرة الفوقية او الخارقة لما يجهله او يظن انه يجهله،يعتبر الانسان العاقل ارقى سلالة مرت على النوع الإنساني و التي تمكنت من الاستمرار و البقاء، واكثر من ذلك وصلت هذه السلالة الى وضع أفكار و فلسفات و تخيلات لواقعها المعيش المادي منه و الروحي، حتى وصل الامر بهذا الهوموسابينز ان يدرك انه قادر على تمثل صفات تتعدى ما خلق له ،فانطلق بهوسه الى مجارات الصفة او الصفات الالاهية في مختلف الثقافات و عبر عديد الأزمنة و العصور حتى وصل بفضل العقل و المعرفة و العلم الى درجة كبيرة من التطور التكنولوجي الذي ربما سيسمح له بتحقيق هوس الخلود اقله العيش لأزمنة أطول و القوة الخارقة و الشباب الدائم ، بمعنى ان هذه التكنولوجيا المتطورة ستفتح طريقا للهوموسابينز ليصبح سلالة جديدة تسمى الانسان الفائق و نفس هذه التكنولوجيا التي ستغير من الجسد البشري لتأخذ بهذا الهوسابينز لطريق الانقراض.

الكلمات المفتاحية:

الهوموسابينز ؛
الانسان الفائق ؛
ما بعد الحداثة ؛
التطور التكنولوجي ؛
الجسد البشري.

Abstract

Since discovering the first words, man has been obsessed with the supernatural view of what he does not know or thinks he does not know. He has been considered the most el egant strain of the human species, which has survived. Moreover, this dynasty has deve loped ideas, philosophies and fantasies of its physical and spiritual reality, until this Ho mosapines came to realize that he is capable of representing traits beyond what he was created for. His obsession hasspread to the sphere of divine traits in various cultures an d through many times and ages, until, using, knowledge and science, he reached a great degree of technological development that will allow him to realize the obsession of im morality of living longer and the supernatural powers, and to open up this new asset, a Continuum of technology the same technology that's going to change the human body t o take this man to the road of extinction.

Keywords:

Homosapiens;
Superhuman;
Postmodernism;
Tech-development;
The Human Body.

* Corresponding author, e-mail: mourad.belaidi@univ-constantine2.dz

Doi:

© Constantine 1 University, Algeria, 2025.

1 - مقدمة

يقول نص سومري قديم "حينما ظهر النوع البشري، فإنه لم يكن يعرف الخبز ولا الملابس، وكان الإنسان يسير على قدميه ويديه ويأكل الأعشاب بفمه كما يفعل الحيوان، ويشرب من ماء الأنهار" (رياض، 2014)

الانسان و منذ اكتشافه الكلمات الأولى والكتابة والحرف القديم، امتلكه الهوس بالنظرة الفوقية او الخارقة لما يجهله او يظن انه يجهله فانتج لذلك ما يسمى بالأسطورة والتي هي في بنيتها الأصلية تمثل محاولة بدائية لفهم العالم بكل ظواهره، و لأن الإنسان القديم لم يكن يملك من الأدوات المعرفية و العقلية ما يسمح له بتفكيك هاته الظواهر و وضع تصورات منطقية لفهمها، فقد لجأ للتفسير الغيبي، و إخترع آلهة متعددة(نستثني هنا الديانات السماوية) تمثل هاته الظواهر الكثيرة والمتشعبة فيما بينها، و هذا التشعب هو ربما أنتج هذا الكم الهائل من الأساطير التي تتداخل فيها الآلهة و تتصارع و تتواجه فيما بينها.

هذا يقودنا الى طرح مفهوم الالاه و ما يلعبه من دور مهم في مختلف الحضارات و الثقافات الانسانية المتعاقبة ، و رغم الاختلافات و التباين لوصف بنية و دور الالاه في حياة الانسان بين الديانات السماوية و الاخرى الوضعية تبقى اهم سمة تلك الصفات الخارقة او الخارج عن ما هو طبيعي بالنسبة للإنسان، فالالاه من منظوره هو القوة العليا التي تسير مصيره ووجوده على الارض، هذا الالاه القوي ،الخالد ،العالم بما كان و ما سيكون ، المدبر لشؤون الانسان و اهم الصفات هو الخالق لكل شيء، ان هذه الصفات اضحت هوسا اشتغل به الانسان عبر حقن الزمن المتعاقبة ،فمن حضارة الانوناكي مرورا بالحضارة الفرعونية فالرومانية سعى الانسان ان يماثل الله او الالاه في صفاته لكن كان السعي نحو الخلود و القوة الخارقة و معرفة الغيب و الشباب الدائم تجد عائق الجسد الانساني الذي خلق لهدف و وظيفة محددة و مما زاد الطين بلة قهر الزمن و الموت لهذا الجسد الفاني ، رغم ذلك فمن فرعون الى فرانكنشتاين حلم الجميع باكتساب صفات الخلق و الخلود منصبين انفسهم الاها جديدا فوق الارض ان صح التعبير ،الا ان ذلك بقي دربا من دروب الاسطورة او الخيال الانساني المحض ، الى ان اهتدى هذا الانسان الى منظور جديد لفكرة مضاهاة الالاه و هي الانسان الخارق او الفائق الذي يركز على تحسين هذا الجسد الفاني بالاعتماد على التكنولوجيا فظهر بما يسمى تكنولوجيات التعديل الجيني او الوراثي و استمر التقدم حتى الوصول الى درجات متقدمة جدا في التجريب على الانسان سعيا لفكرة مهمة اسست لما يسمي بما بعد الإنسانية.

إن النموذج النظري الذي يتأسس عليه فكر ما بعد الإنسانية هو التّوق إلى الخلود وتحدي فكرة "الخالق" المتعالي الذي تتحدث عنه الديانات السماوية، وتعويضه بخالق جديد هو الإنسان نفسه. فالفكر ما بعد الإنساني لا يؤمن بمركزية الإنسان فقط بمدلولها العلماني الحداثي، والتي تفيد قدرة وكفاءة العقل الإنساني على تدبير شؤونه بدون واسطة الدين أو غيره، بل يؤمن بفكرة أكثر تطرفا وهي كفاءة "الإنسان الجديد والقادم" على خلق نفسه وغيره، وتجاوز مبدأ القدر المحتوم والنهاية المحتومة.

فالخلود هو الهدف والتطبيق التقني الجامع هو الوسيلة. إذ يقول خوسيه لويس كورديرو، وهو المؤسس المشارك للجمعية الفنزويلية لما بعد الإنسانية "إن مفهوم الخلود يمكن أن نتعامل معه من منظورين: الأول ديني أو فوق طبيعي وآخر علمي أو طبيعي. وكلا المنظورين يفيد في تفهم أحسن للتاريخ، الذي يقف وراء أكثر المسائل الوجودية التي على الجنس البشري مواجهتها: ألا وهي السعي للخلود. لقد جاء الدين أولا لكن العلم الآن يرينا طريق تحقيق الخلود فعليا" (كروديرو، 2009) ، انطلاقا من هذه القول هل حقا سيتمكن الانسان من تنصيب نفسه المتحكم الجديد في مصيره الوجودي؟ وهل يضمن التطور التكنولوجي التفوق البشري؟ واهم سؤال هل التطور التكنولوجي في مجال الطب وتحسين الجسد سيكون سببا في انقراض الانسان الحديث وظهور سلالة جديدة؟

لكن لن يمكننا فهم مصير هذا الانسان والاجابة على هذه الاسئلة الا بالرجوع الى أصله وبداياته وكيف كانت هذه البداية.

2-الانسان وسلالاته:

اعمار الارض من اهم مقاصد وغايات الوجود الانساني، هذا الاعمار الذي جعل الانسان ينتشر في مختلف ارجاء البسيطة، وتشير الادلة العلمية والابحاث الاركيولوجية المختلفة التي كانت في معظمها تجرى بالقارة الافريقية الى ان الاصل الانساني استوطن هذا الحيز الجغرافي وانتشر منه الى اسيا ثم الى باقي ارجاء العالم (رياض، 2014).

المتأمل لتاريخ النوع الانساني من خلال الابحاث العلمية يدرك ان هذا الانسان مر بمراحل عديدة من وجوده على هذه الارض، والتي هي بدورها مرت في ازمنة جيولوجية وبأعمار سحيقة ضاربة في اعماق الزمن، فلو نظرنا في هذه السلسلة الزمنية نجد أقدم حقبة عرفتها الارض أطلق عليها اسم ما قبل الزمن الأول أو الأركي Archaic ترجع الى 4540 مليون سنة الى 542 مليون سنة خلت ما يمثل 88 ٪ من عمر الارض لتكون بعده عدة مسميات لحقب كثيرة

منها الباليوزوي نحو 291 مليون سنة و الميزوزوي 176 مليون سنة ثم الكاينوزوي 63 مليون سنة ثم الزمن الرابع Quarternary و الذي يبتدأ من الحقبة المسماة البلايوستوسين 2 مليون سنة الى 11500 سنة ثم تليه حقبة الهولوسين و التي تمتد الى يومنا هذا، الملاحظ ان الوجود الانساني و نقصد هنا الانسان العاقل ،لا يقارن بعمر الارض لكن الاثر الذي تركه و يتركه عليها كبير و لا يمكن تجاوزه رغم الفترة الزمنية الضئيلة جدا و التي بدأت من حوالي 12000 الف سنة، مما يدفعنا لمحاولة فهم كيف تطور هذا الانسان لإنتاج كل تلك الحضارات و الثقافات و التنوع البشري و كتابة هذا التاريخ الكبير المليء بكل هذا الزخم البشري ؟

يجب ان نعلم اولا ان نظرية تطور الانسان (الداروينية) وانتقاله من سلالة الى اخرى او من شكل الى اخر عبر عديد الحقب الزمنية مازالت نظرية تخضع للاختبار و التمحيص مع هذا التقدم التكنولوجي الذي يشهده الانسان، الا انه لا بد من الاشارة هنا الى هذه النظرية التي كانت محفزا لدراسة السلالات التي مر بها الانسان و لما لها من فائدة على هذه الورقة البحثية ، من حيث ان التطور الذي مر به الانسان سواء كان جسديا او عقليا و خاصة اذا تعلق الامر بالهوموسابينز، يعكس الرغبة في الوصول الى نزوة الخلود و مضاهاة الاله او مفهوم الانسان الفائق هذه الفكرة ربما ترجع الى فترة سحقية في وجود هذا الانسان، لذا فالعودة الى بداية هذا الاخير تعتبر ضرورة لفهم مستقبله، حسب المصادر العلمية المختصة في البحث الاركيولوجي و الأنثروبولوجي الطبيعي تبدا سلالة الانسان من فصيلة ما يسمى علميا بـ Australopithecus أشباه الإنسان أو القرد الجنوبي أوسترالوبيثكس و الذي يمتد عمره من حوالي 4 مليون سنة الى 1.7 مليون سنة خلت، ثم بعده او معاصرا له Paranthropus بارانثروبس امتدت فترة وجوده من 2.7 مليون سنة الى 1.2 مليون سنة خلت، ثم بعده الفصيل المسمى باسلاف الاجداد او Antecessors من 1.2 مليون سنة الى مايقارب 350 الف سنة مضت ، هذا الاخير له ارتباط معين بمن بعده و هو الانسان المنتصب او الواقف و المسمى علميا بـHomo Erectus –الهومو اركتوس- من خصوصيات هذا الانسان المنتصب انه عاصر الكثير من الانواع التي سبقته او احدث منه(من المفترض ان هذه السلالات لم تكن تباعا او في تسلسل، يرجح العلماء ان تواجد السلالات المختلفة كان متزامنا او متداخلا) كما يعد الاكثر توزعا على القارات الثلاث افريقيا، آسيا وأوروبا (رياض، 2014).

بعد كل هذه السلالات يأتي أهمها وهو الانسان العاقل او الهوموسابينز Homo Sapiens وتشمل هذه السلالة عدة أقسام أولها النياندرتال بكل انواعه ويسمى بالإنسان القديم Palaeoanthropien ، و امتدت فترة وجوده من نحو 300 الف سنة الى 30 الف سنة خلت، القسم الثاني يعرف بالإنسان العاقل البائد Presapiens و معه الانسان الجديد و المعروف باسم Neanthropien عمرت هذه السلالة ما بين 40 الفا الى عشرة الاف سنة خلت، بعد كل هذه السلالات يسجل التاريخ ظهور سلالة الانسان الحديث Homo sapiens sapiens –modernman و الذي يشغل الفترة المتبقية من الزمن أي منذ عشرة الاف سنة الى يومنا هذا ، في حين انقرضت كل السلالات السابقة بقي هذا الأخير متشبثا و رافعا لكل العقبات و التحديات التي تواجه انقراضه ...ربما!!

الملاحظ لتاريخ السلالات البشرية يجد القاسم المشترك بينها هو محاولة التغير نحو الاحسن (هذا على فرض النظرية التطورية) فمنذ الانسان الشبيه بالقرد الى الانسان المنتصب الى النياندرتال حتى الانسان الحديث وكل مر به كل فصيل من تحديات وجودية نجد ان الهومسابينز هو الأقدر والأكثر كفاءة على البقاء وما الحضارات المتعاقبة والثقافات المختلفة دليل ذلك، الا ان الرغبة في التطور المستمر و محاولة الوصول الى الكمال الإنساني حلم استفرد به الانسان الحديث الذي ربما قدرته على التكيف مع الظروف الطبيعية القاسية و المحن البشرية المختلفة من حروب و امراض و مجاعات تجعل من هوس التفوق و اكتساب القوة الخارقة رغبة شديدة التجذر في هذا الفصيل، هنا سنجد انفسنا امام اهم قراءة لتاريخ هذا الانسان الحديث ما لذي يملكه هذا الأخير لينفرد بالبقاء و تنقرض الفصائل السابقة ؟ ربما الإجابة واضحة لكنها تستدعي التمعن لان العقل وسيلة او أداة استعملها الانسان لإشعال ثورة.

3-ثورة العقل:

العقل مع كل ما يكتنف هذا المصطلح من غموض ونقاشات فلسفية وأخلاقية الا انه يمكن القول انه يبدا من الجهاز المورفولوجي الأول وهو الدماغ، والذي تشترك فيه كل السلالات البشرية المختلفة رغم المميزات المتنوعة لكل سلالة فمثلا امتلك الانسان قبل 2.5 مليون سنة دماغا بحجم 600 سنتمتر مكعب تقريبا في حين ان الانسان الحديث يمتلك دماغا يقارب معدل حجمه ما بين 1400 الى 1600 سنتمتر مكعب فيما امتلك النياندرتال دماغا بحجم أكبر، يشغل الدماغ ما نسبته اثنين الى ثلاثة بالمئة من وزن الجسم البشري لكنه يستهلك 25 بالمئة من طاقة الجسم في حالة الراحة (هاراري، 2018)، هذه الالة البشرية هي المسؤولة عن التميز الذي ينعم به الانسان الحديث (الهوموسابينز) و يرجع له الفضل في كل الابتكارات و الابداع الذي حققه على مدى السنون المتعاقبة، ان هذا العقل (إضافة لعوامل أخرى) هو ما دفع بالإنسان لاكتساب تلك القدرات الاجتماعية المميزة، من حرص للإنسان على اطعام اطفاله و تربيتهم و

المشاركة المجتمعية و الحرص على العلاقات المختلفة ، نفس الجهاز هو من حث الانسان على تطوير الروابط الاجتماعية على انتاج الثقافة على ابداع الفن حتى على اختراع الدين، اذن فمصير الانسان في اغلب الأوقات ان لم تكن كلها مرتبطة بهذا العقل، ومنه فكل الحضارات المتعاقبة لزاما ان يكون للعقل فيها الدور الأهم (هذا فرض ينبغي التحقق منه لان هناك مظاهر حضارية مازال عقل الانسان الحديث يقف حائرا امامها وما طريقة بناء الاهرامات الفرعونية او بناء مدينة ماتشو بيتشو الا دليل ذلك).

الحضارة تحوي كل المنتج الإنساني من مادي او فكري ، قديم او حديث ،متقدم او متخلف تكنولوجيا ، اذن الحضارة من اهم مظاهر تلك الثورة التي قدمها العقل للإنسان، فترك اثرا لم تغيره الأزمنة المتلاحقة و مكن هذا العقل الانسان من ان يرتقي في سلم المسيطرين على هذه الأرض الى ان اصبح الخليفة المطلق ان صح التعبير ، الا ان هذا العقل لا يكف عن ممارسة احسن شيء وضع من اجله وهو التفكير و محاولة النهوض دائما في وجه الخمول و السبات و السعي نحو التغيير الذي ربما يكون جذريا في بعض الأحيان، هذه الصفة تجعله ربما المسؤول الأول عن تعاسة الانسان من جهة أخرى فالحروب و النزاعات و التطرف و الموت في سبيل الأفكار و المعتقد هي كذلك من عمل ثورة هذا العقل، فعادة ما تتضمن ثورات العقل تحطيم القيم و المعتقدات التقليدية و السعي نحو نهج جديد لفهم الأمور او تصورها.

يعتبر عصر النهضة من أحسن الأمثلة على ثورة العقل حيث تميزت هذه الفترة في أوروبا بتحول كبير في الثقافة و الفن و العلوم و الفلسفة و حتى السياسة، كذلك نجد الثورة الصناعية و التي شهد فيها العالم تحولا كبيرا في وسائل الإنتاج و التصنيع مما اثر على الاقتصاديات العالمية بشكل جذري حتى ان هذه الثورة انتجت فكرا سياسيا و مجتمعيا مختلفا تماما عما عرفه الانسان قبلا، تستمر ثورة هذا العقل بأخذ الانسان الى مستويات أخرى ففي زمن القرن الواحد و العشرين قاد العقل الانسان الى ثورة جديدة يطلق عليها ثورة المعلومات او "عصر الثورة الفائقة للمعلومات" (عودة، 2000) تعتبر هذه الثورة الجديدة تغيرا جذريا آخر في طرق انتاج و استهلاك المعلومات و التكنولوجيا حيث تعزز هذه الثورة من استخدام التكنولوجيا الرقمية و الانترنت في تحقيق رغبات الانسان و حاجاته المختلفة في حياته اليومية، أحدثت هذه الثورة تحولات كبيرة في الاقتصاد و الثقافة و التعليم و التواصل و الصناعة و غيرها، حيث تتمظهر هذه الثورة بمجموعة من المظاهر من بين المظاهر الهامة لثورة المعلومات نجد، الإنترنت و الاتصالات الرقمية و هو مظهر محوري في هذه الثورة حيث سهل نقل المعلومة و بسرعة متخطيا كل الحدود التقليدية ،كما اثرت تأثيرا مباشرا في عملية التفاعل الاجتماعي، المظهر الاخر هو الهواتف الذكية و التطبيقات و التي تسمح بالولوج الدائم و المستمر و السريع لمختلف الخدمات، من بين المظاهر كذلك التعليم عبر الانترنت حيث انتشرت منصات التعليم عبر الانترنت و الدروس عن بعد، مما سهل الوصول الى مصادر التعلم و اكتساب المعارف عبر انحاء العالم.

وتوجد هنا العديد والعديد من المظاهر التي يمكن ذكرها في هذا الجانب مما يجعل من ثورة المعلومات تحولا تكنولوجيا واجتماعيا ضخما المسؤول الأول عنه هو هذا العقل البشري، ان هذا الأخير لا يكف عن ابهرنا بقدراته الجبارة التي تغير في حياة الانسان عبر الأزمنة والعصور.

وبالطبع لن يعجز هذا العقل في إيجاد مجال جديد يحدث فيه ثورة أخرى ، مجال يحاول فيه العقل الإنساني التغلب على كل ما يغيب عنه من مظاهر لا زالت مبهمة او معقدة او مجهولة فالرغبة في السيطرة و معرفة كل شيء و محاولة مضاهاة الاله مازالت قائمة و موجودة في أعماق الانفاس البشرية ، رغبة يحاول ان يكون فيها هو الأسطورة بعد ان كان يخترعها ،في هذا المجال بالذات اخذ الإنسان ينظر الى وجوده و مصيره و مآله بشكل مختلف ووظف احسن ما عنده و هو العقل ليعيد صياغة تلك العلاقة المعقدة التي تربطه بالدين ليتجرأ مرة أخرى و يضع معايير جديدة للتعامل مع مظاهر كثيرة المسؤول الأول عنها الدين مثل الجسد البشري الذي تتحكم فيه بشكل مباشر التعاليم الدينية المختلفة ، لذا التغيير في النظر لهذا الجسد يلزمه ثورة و هو امر اعتاد عليه هذا العقل ،خاصة اذا علمنا ان هذا الأخير أي العقل انتهى للتو من ثورة ضخمة سماها المعلومات الفائقة ، لذا فإعادة النظر في علاقة الانسان بالدين يجب ان تمر عبر ثورة جديدة تسمى ما بعد الحداثة .

4-الدين والانسان وما بعد الحداثة

يعبر عصر ما بعد الحداثة عن فترة زمنية و فلسفية تلي الحداثة و تتميز بالتشكيك في القوالب التقليدية و الثوابت العقائدية من هذا المنظور ينعكس تأثير هذه الحقبة الدين في مجموعة من المظاهر، منها التشكيك في القصص و التقاليد الدينية حيث نلاحظ التزايد المستمر للتشكيك في الروايات و الآراء و الأوامر و القيم الدينية المختلفة واصبح الفكر الإنساني يميل الى التحليل و النقد و فحص مدى صحة هذه التقاليد وفقا للاطار الزمني و التاريخي و المعنوي بعيدا عن قدسية هذه التقاليد و لربما موجة التشكيك من داخل الثقافة الاسلامية في موضوعية و صحة كتب الاحاديث النبوية خاصة كتابي البخاري و مسلم خير دليل على هذا التأثير.

من بين المظاهر الأخرى **عزل الدين عن الحياة الاجتماعية** فهذه التعاليم والتقاليد والأعراف الدينية هي التي تؤطر الحياة الاجتماعية و تنظمها في هذا الشأن يرى دفيد ليون (عالم اجتماع أسكتلندي) ان الدين اصبح منعزلا في المجتمعات الما بعد حداثية (محسن، 2023) (القصد هنا المجتمعات الغربية و بما ان العالم اصبح قرية بفضل ثورة المعلومات فهذا المظهر لن يكون بعيدا عن المجتمعات او الثقافات الأخرى) حيث ان الدين لم يعد مرتبطا بمنظمات دينية او بلدان او ثقافات معينة كما ان العقائد لم تعد متصلة بالسياقات التي وجدت من اجلها مما يسمح لهذا الإنسان الاختيار و المزج بين العديد من أنظمة العقيدة فيأخذ ما يشتهيه و ما يحبه و يخدم نزواته و يرفض ما لا يحب او يشتهي.

المظهر الاخر لتأثير ثورة مابعد الحداثة على الدين هي **تعدد التأويلات والتفسيرات** حيث تظهر مجموعة متنوعة ومختلفة من التأويلات والفهم للمفاهيم الدينية ، مما يحدث شرخا كبيرا بين التدين الصادق او الالتزام الديني و الممارسة الدينية بصفة عامة، و تتعرض معايير الحكم على السلوك الفردي او الجماعي المبنية على المعتقدات و الأعراف الدينية الواضحة الى ما يشبه الضبابية و عدم الوضوح، مما يجعل من تقويم السلوك الإنساني امر شديد التعقيد فيصبح مفهوم الحرية الدينية او بمعنى ادق الفردانية الدينية هو الابين و الاوضح عند الفرد فينتج ما يسمى بالتدين على المقاس أي و فقا لما يفهمه او يعتقد انه الفهم الصحيح للتعاليم و المعايير الدينية، و يبني عليه حياته و سلوكه اليومي، في هذه الطريقة يصبح الدين مسألة اختيار ولذلك يجب النظر اليه ليس كإلتزام وانما كإستهلاك، العامل الرئيسي في كل هذا هو التكنولوجيا، فالتلفزيون ومن ثم الانترنيت حاليا سحبا الدين بعيدا عن الكنائس او المعابد باتجاه القنوات التلفزيونية والمواقع الالكترونية، هذا ايضا يسمح للدين ليصبح أكثر خصوصية، ويمكن ربطه بفكرة غريس دافي Grace Davie (عالمة اجتماع بريطانية) حول الناس الذين "يؤمنون دون انتماء" believing without belonging (Grace, 1997).

من بين المظاهر التي يجدر الإشارة اليها كذلك تقاطع الثقافات والديانات فما بعد الحداثة تجعل من وسائل الاتصال وكل ما يرتبط بها من تكنولوجيا عاملا فعالا في خلق التفاعل بين الثقافات والديانات المختلفة مما سيعزز فكرة التبادل بين المعتقدات الدينية ولربما أحسن مثال على ذلك هو انتشار بعض من الأعياد الدينية التي كانت تخص ثقافة معينة لتكتسي صفة العالمية كالاحتفال بعيد القديس نيكولاسnoël المعروف في الديانة المسيحية.

ان هذه المظاهر المختلفة للتأثير الحداثي على الدين يحيلنا الى محاولة النظر في كيفية تعامل هذا الانسان الما بعد حداثي مع الدين فالعلاقة بينهما تمثل تحديا معقدا يتعامل معه الافراد و الفلاسفة و الأنثروبولوجيين في مراحل او فترات زمنية مختلفة ،فهذا الانسان يشهد في هذه الحقبة التحديات و الصراع المتصاعد بين الثقافات و الأفكار بين التطرف الفكري و الانغلاق الديني و الفوضى الحياتية التي اصبح هذا الانسان يعيشها يوميا ، هذه هي الرؤية المسيطرة في هذه الحقبة على انسان ما بعد الحداثة ، لأنه و بكل بساطة اصبح الكفر بالثوابت هو الامر المحمود ،واصبح الثبات و الاستقرار امرا مناهضا لفكرة التقدم، هو اذن عصر لا يؤمن او يقترب من ان لا يعترف بالقيم المطلقة في الأشياء حتى بقيمة الانسان نفسه .

لقد اصبح الانسان في مواجهة الدين انسانا مشككا في القيم متوسما في التحليل العقلاني الخلاص ،يميل الى مراجعة و

معالجة الأمور من خلال العقل و المنهج العلمي مما جعله يحاول إعادة صياغة حاجاته الدينية وفقا لمنطلقات فكرية ما بعد حداثية ، بالمقابل هو انسان يركز على التنوع و التعددية يحاول البحث عن نقاط التلاقي و التواصل بين الأفكار و المعتقدات يميل هذا الاسان الما بعد حداثي الى التجارب الشخصية كما يتميز هذا الانسان بالاستعمال المستمر و الواسع لوسائط الاتصال الرقمي و استغلالها في نشر أفكاره مما أدى الى تأثير مباشر في هويته و شخصيته و أصبحت الرغبة في التعلم المستمر و تطوير الذات أسلوب حياة.

اذن فالإنسان بعد ان مر بمراحل التطور المختلفة من الانسان الشبيه بالقرد الى المنتصب الى العاقل او الحديث وبعد المرور بثورات العقل المتعاقبة المنتجة لأفكار واساليب عيش متنوعة ، وصولا الى مرحلة الفكر الما بعد حداثي مازال الانسان لم يشبع تلك الرغبة في التفوق و السعي نحو الخلود و مضاهاة القوة العليا التي تسيطر على مصيره ، لذا فهذه الحقب المتعاقبة كانت بمثابة السلم الذي صعد و سيصعد عليه هذا الانسان نحو هدف التفوق، فبعد ان اوجد الانسان لنفسه هذه الثورات و استغلها لصالح رغباته فانتهج الصناعة لتحسين رغباته الاقتصادية و استغل الاتصال و الانترنت لبسط السيطرة الفكرية و الثقافية و ووصل لتكسير و التخلي عن المعتقدات و الأعراف الدينية ووضع فلسفة تبرر ذلك و هي فلسفة ما بعد الحداثة ، كل هذه الخطوات ستعجل بتقدم الانسان نحو التغيير في شكله او جسده البشري ليحاول منحه القدرة على تحقيق الرغبة الدفينة اكتساب التفوق و السيطرة على مصيره بنفسه ، فالتجا الى مجال اخر يحاول منه الوصول لمبتغاه ، و هنا يظهر مجال لا يمكن اغفاله اذا ما اردنا ان نفهم كيف سينقرض هذا الانسان الحديث(هذا ما هو الا افتراض ربما يصعب التحقق منه في وقتنا الحاضر لكن يمكن استشرافه من الأفكار التي يسطرها الانسان لمستقبله) الا وهو مجال الطب و كيف اثر التطور التكنولوجي عليه.

5-الطب وتطور التكنولوجيا

الطب هو مفتاح المعادلة الصعبة التي تؤرق العقل البشري كيف أعيش الخلود في هذا الجسد الفاني؟ (يبدو للوهلة الأولى ان الامر لا يعدو عن طرح خيالي لكنه في الحقيقة من المساعي التي يريد الطب الحديث إيجاد جواب له) هذه الرغبة يحاول الطب الحديث إيجاد وسيلة لتحقيقها، لكن الطب كعلم مستقل وحده لن يستطيع ذلك فاستعان هو الاخر بسمة الالفية الثالثة وهي التطور التكنولوجي، هذا التطور أحدث تحولا هائلا في مجال الطب و الذي نتج عنه نوع جديد من الرعاية الصحية اطلق عليها باسم تكنولوجيا الرعاية الصحية او الطب الرقمي حيث لم تعد الممارسة الطبية حكرا على الطبيب البشري فقط ، فقد انتقل العمل الطبي (خاصة في جانب تشخيص الامراض) الى المواقع على الشبكة العنكبوتية و وجدت خوارزميات تساعد المتصفح على تحديد مرضه و نوع الادوية المناسبة (تجدر الإشارة ان الانسان –المريض- و رغم التطور الطبي الا انه مزال يؤمن بقدرة الانسان –الطبيب-و براعته في هذا المجال) ، الطب الرقمي مصطلح يشير الى تكامل التكنولوجيا الرقمية والبيانات الصحية في مجال الرعاية الصحية ويسعى هذا النوع من الطب الى تحسين تشخيص وعلاج الامراض من خلال تحليل واستخدام البيانات الصحية الكبيرة وتقنيات التحليل والذكاء الاصطناعي، الهدف من هذا التطور ربما يتعلق أساسا بجودة الخدمات الصحية وسهولة الحصول عليها مما يقود صناع القرار في الحكومات المختلفة الى الرغبة في التوسع وتبني تقنيات المعلومات الصحية كوسيلة لزيادة كفاءة وفعالية الخدمات وتخفيف النفقات. (ميلر، 2010)

من بين الخطوات العملاقة التي حدثت في مجال الطب التقدم في مجموعة من التخصصات الطبية التي ما كانت لتكون فعالة لولا التكنولوجيا مثل التشخيص الدقيق عبر التصوير الطبي او الرنين المغناطيسي، كما ساهمت التكنولوجيا في فهم اعمق للجينات البشرية وهذا يساهم في توجيه احسن و علاج افضل للأمراض الوراثية، كما قدمت التكنولوجيا الفرصة لظهور الروبوت في الاستعمال الطبي حيث حسن ذلك من القدرة على تنفيذ العمليات الجراحية الدقيقة، من بين المجالات التي اكدت التأثير الكبير للتكنولوجيا على المجال الطبي تسريع عمليات اكتشاف و تطوير الادوية و اللقاحات و من احسن الأمثلة على ذلك مجموع اللقاحات التي طرحت لمعالجة الفيروس التاجي covid19 ، يوجد مجال آخر يعتبر ثورة في المجال الطبي و هي تقنية النانو تكنولوجي* حيث تعِد هذه التقنية بالكثير من التطبيقات الطبية المتعلقة بالتشخيص الدقيق و العلاج العالي الكفاءة وكذا الكثير من التطبيقات في مجال الرعاية الصحية (الرحمان، 2013)،

هذه التقنية تقدم كل يوم ابتكارات جديدة تستطيع ان تغير مستقبل الانسان و تصنع العجائب فمثلا "استطاع الباحثون تصنيع مفاتيح كهربائية بالغة الصغر من مادة السليكون ،تستطيع الفتح و الاقفال ملايين المرات في ثانية واحدة باستخدام طاقة كهربائية بالغة الضآلة" (سالم، 2011) ،هذا الاكتشاف سيكون مصدر اهتمام كبير لاستغلاله في المجال الطبي، كما قاموا بتطوير الة نانوية تمكن من بناء سلسلة من المادة الوراثية المكونة لـ DNA (الرحمان، 2013) مما يسمح بفهم افضل لبنية و تركيب هذا الحامض النووي و الفيروسات المختلفة على حد سواء، ان مجالات استخدام او تطبيق النانو في المجال الطبي لا تتسع هذه الورقة البحثية لحصرها لكن اجمالا النانو تكنولوجية تساهم في إعادة بناء و صياغة الجسم البشري، و هي بداية لتغذية تلك الرغبة السحيقة في الحصول على جسد يقاوم ضربات الزمن و قسوة التقدم في العمر، هذه الفكرة المتجذرة في الانسان ماتزال تدفعه للمزيد من الابتكار التكنولوجي في المجال الطبي و بخاصة مجال تعزيز الجسد البشري فظهرت عدة طرق لبلوغ هذا المسعى من اجل تحسين وظائف الجسم و الصحة بشكل عام ، مما يدفعنا للتفكير كما اشرنا اليه سابقا ان التطور التكنولوجي ربما يفتح المجال للوصول مستقبلا الى منح الانسان ما يرغب من تعزيز للجسم البشري، فمثلا من بين التخصصات الطبية التي يمكن ذكرها في هذا الشأن نجد زراعة الأعضاء و التي تسمح باستبدال أعضاء مريضة او تالفة بأخرى صحية من متبرعين مما يحسن نوعية حياة الانسان، و الزراعة تبدأ من نقل الدم الى زراعة الخلايا الجذعية الى زراعة الكبد أو الرئة ،القلب وتصل الى زراعة اكثر من نسيج واحد و تسمى بزراعة الأعضاء المتعددة او المركبة.(Hert, 2023)

يوجد مجال تكنولوجي اخر و الذي يعتبر ثورة تكنولوجية أخرى في طب الجسم البشري و هي التكنولوجيا البيونيكية او التكنولوجية الحيوية و تعرف كذلك باسم هندسة خلاقة بيونيةbionical creativity engineering و هي تطبيق طرق و أنظمة حيوية توجد في الطبيعة لدراسة و تصميم أنظمة هندسية و تكنولوجيا حيوية (محمد، 2023) ، من خلال هذه التكنولوجيا استطاع الانسان تطوير مواد و أجهزة مكنت من استعمالها في تعويض أجزاء من الأعضاء الحية في الجسم البشري ، هذه المواد المسمات بالمواد البيونية تقوم بعملها بتماس محكم و منسجم مع النسيج الحي ، هذا التطور مكن ذلك الجراحين من زرع عديد الأعضاء مثل الركبة الصنعية و المفصل الوركي و مثبتات العظام ، والعديد من الأجهزة في مختلف انحاء الجسم ، ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر حالة السيد كامبيل ايرد و هو رجل اسكتلندي الذي زرع الذراع البيوني الذي طُورَ فريق أبحاث وتطوير البدليات في مستشفى الأميرة مارجريت روز للعظام في إدنبرة (يستخدم الذراع الإلكترونيات للسيطرة و التحكم . وهذا الذراع معروف باسم EMAS نظام ذراع إدنبرة التحويري وقد حل محل الطرف الصناعي التقليدي الذي ارتداه أيرد منذ بُتِرَ ذراعه الأيمن بسبب السرطان قبل 16 سنة (محمد، 2023)

كذلك من بين التقنيات التي تتطور يوما بعد يوم نجد تقنيات تحسين البصر والسمع مثل العدسات اللاصقة والسماعات الرقمية التي تساهم في تعزيز حواس الجسم، في مجال طبي اخر تمكنت الجراحة التجميلية من فتح الباب على مصراعيه التحسين والتغيير او التعزيز في الجسم البشري مما جعلها ربما المجال الأول في الجراحة في عالم الطب حت انها أصبحت ثقافة او موضة عند الكثير من المجتمعات او الافراد.

الحديث عن التطور التكنولوجي في المجال الطبي يلزمه العديد من الكتب لحصره وهذا دليل اخر على مدى رغبة الانسان الحديث في مواصلة رحلة حلم التفوق والسيطرة على الطبيعة، وان يتحول من مجرد محول المادة الى مبدعها أي ينصب نفسه خالقا، كما ان هذا التطور الطبي ينبهنا الى امر مهم جدا، هذا الجسد البشري يعتبره الانسان الحديث عقبة في طريق وصوله للتفوق على عقبات الزمن الامراض الرغبات الحاجات، في زمن الما بعد حداثة ينتفض الانسان على جسده و يحاول تجاوز الخطوط او الحدود مما يدفعنا للتساؤل بعد كل هذا التطور و الثورات كيف يعامل هذا الانسان جسده ؟

6- الجسد البشري في عصر ما بعد الحداثة

فهم الجسد البشري في عصر ما بعد الحداثة يعكس التحولات الثقافية والاجتماعية والتكنولوجية التي يشهدها هذا العصر في هذا السياق، تُعبر مفاهيم الجسد والهوية الجسدية عن تحولات معقدة تؤثر في تفاعل الفرد مع بنية جسده ومع العالم من حوله، من هذا المنطلق نلاحظ انشغال الدراسات والأبحاث الانثربولوجية المختلفة بالجسم وبنيته وما يحيط به من

عوامل دينية وثقافية وصحية وبيئية وتجميلية وعصبية وجندرية وحتى أسطورية، الا انه من النادر ان ننظر الى الجسد البشري على انه كينونة وجودية له خصوصية (النصير، 2023).

التي ربما من اوجهها الحفاظ على هذا الجسد الذي يحتاج منا الإصلاح والترميم والمعالجة من كل ما يعيبه او يخل بوظيفته، لأجل ذلك نجد عديد الفلسفات الاجتماعية و الطبية و الثقافية اتخذت من منظار ما بعد الحداثة وسيلة لتغيير فكرتها عن الجسد البشري، فجسد ما بعد الحداثة يعتمد بالأساس على الفردانية او الفردية و وضع حدود بين الفرد و الاخر بمعنى أخر انغلاق الانسان على ذاته، ولأن الجسد الكيان الذي تختبر كل الفلسفات فيه مفرداتها وتصوراتها، أصبح مختبرا لاختبار الرؤى والابعاد و الأفكار المختلفة و حتى المتطرفة منها .

ما بعد الحداثة تُعبر عن فترة تتخلى عن النهج التقليدي والثوابت المؤسسية، وتسعى إلى إعادة تقييم التفاعلات بين الفرد والمجتمع والثقافة، من هنا يمكن رؤية عدة تأثيرات لفهم الجسد البشري في ما بعد الحداثة ، من بينها تأثير التطور المادي و نعني هنا التكنولوجيا و كيف يمكن ان تغير مفهوم الانسان او بمعنى ادق ماذا نقصد بالجسد البشري، يقول دافيد لوبروتون في كتابه أنثروبولوجيا الجسد و الحداثة

"ان المعرفة البيوطبية هي التصور الرسمي، بشكل ما، للجسد البشري اليوم. فهي تعلم في الجامعات، وعليها ترتكز مخابر البحث، وهي التي تؤسس الطب الحديث" (لوبروتون، 1997) هذه الفكرة التي يطرحها لوبروتون ربما تعكس توجه الانسان اليوم للتخلي عن النظرة التقليدية او الشعبية للجسد واعتماد التطور العلمي في مجال الطب لتحديد ماهية الجسد، واصبح المفهوم الما بعد حداثي للجسم الإنساني يأخذ خطوات اسرع في اقناع الانسان بصوابه و قدرته على تحقيق تلك الرغبات الدفينة، يقول لوبروتون "تطور ما بعد الإنسانية نبوءة تكنولوجية جديدة، دين جديد طريق لخلاص الإنسان من أسسه الجسدية القديمة التي اصبحت اليوم تثقل عليه" (Breton, 2017)، اذن منظار ما بعد الانسانية اصبح يقدم انتاجا مفاهيميا جديدا وصل الى ضرورة تقديم صورة جديدة للجسم البشري، صورة يتم فيها اعادة تصميمه بحيث يمكن ادماج تقنيات تكنولوجية مختلفة و متطورة تجعله اقوى و اسرع، يقدم الجسد في هذه الفترة على انه متحرر و متخلص من قيود الطبيعة ، فمثلا ان عملية الاكل و تطور نظام الهضم و التمثيل الغذائي التي تطورت عبر الزمن أصبحت اليوم غير متوافقة مع الوضع الراهن ،و البدانة من اعراض هذا الخلل ، و هنا تتدخل التكنولوجيا النانوية لتعالج هذا الخلل باستخدام نانوروبوتات تنتشر في الدم ،من خلالها يتم اطلاق المواد اللازمة للمتطلبات الجسد من هرمونات و ادوية و غيرها مما يتيح مراقبة مستمرة للمواد الغذائية داخل الجسم و تمثيلها الغذائي، وعلى هذا المستوى التكنولوجي العالي ستصير المواد الغذائية التقليدية مجرد تجربة ثقافية و حسية بسيطة (فرانسوا، 2019).

على مستوى آخر في عصر ما بعد الحداثة، العلاقة بين الجسد والهوية (بما ان جسد الانسان ليس مجرد مادة فقط بل هو مجال للتعبير عن الهوية والكينونة) تشهد تعقيدات كبيرة نتيجة للتحولات الثقافية و الاجتماعية والتكنولوجية المميزة لهذا العصر، تشكل مفاهيم الجسد والهوية جزءًا من هذه التحولات وتعبر عنها بطرق متعددة منها تعدد المفاهيم والتفسيرات في ما بعد الحداثة، حيث يتميز التفكير بالتعدد و تنوع مفاهيم وتصورات الجسد والهوية بين الثقافات والتجارب الشخصية، مما يؤدي إلى تعددية التفسيرات، التحول الاخر نجده كذلك في التمثيل الاجتماعي ووسائل الإعلام فوسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي تلعب دورًا هامًا في تشكيل تصورات الهوية الجسدية حيث يتم التمثيل الاجتماعي للجسد والمظاهر البدنية عبر الصور والفيديوهات والمشاركات الاجتماعية، في ما بعد الحداثة ينظر للهوية كعمل يتطلب تحديث وتكييف مستمر و الجسم هنا يصبح جزءًا من هذه العملية حيث يمكن للأفراد تعديل مظاهرهم البدنية وتجاربهم الشخصية وفقا لمتطلبات المرحلة و موضة التحول الجنسي التي أضحت تتعالى موجاتها خير مثال، ان التحول الأهم في اعتقادنا هو تحدي للمفاهيم التقليدية حيث يمكن لمفاهيم الجسد والهوية في ما بعد الحداثة أن تتحدى المفاهيم التقليدية والقوالب الثابتة مما يشجع على استكشاف معاني جديدة للجسد و مدى تأثيرها على تكوين الهوية.

من بين مظاهر التحول الأخرى والتي نعتبرها جسر عبور الإنسان الحديث الى فصيل اخر "ربما؟!!" هي عولمة الجسد فمسارات العولمة ومجتمع ما بعد الحداثة تتشابكان بشكل معقد، حيث تؤثر العولمة في تفاعل الجسم مع العالم الخارجي

وفي فهم الهوية الجسدية، فالعولمة تُمكّن من تبادل الثقافات والتواصل بين مختلف المجتمعات مما يؤدي ذلك إلى تعزيز التنوع الثقافي وتجربة تفاعل الجسم مع مظاهر مختلفة للهويات الجسدية، و هذا طبعا سيقودنا الى فكرة أخرى هي تحول القيم الخاصة بالجسد فعلى سبيل المثال تحولات قيم الجمال العالمي فمع انتشار وسائل الإعلام والتكنولوجيا، تنتقل مفاهيم وموضات الجمال العالمي إلى مجتمعات مختلفة يُمكن لهذه التوجهات أن تؤثر في تصورات الجسد ومعانيه، ان مظاهر التحول تعدت الجانب الجمالي الى الجانب الجندري حيث تؤثر العولمة في مفاهيم الجندر والتوزيع الاجتماعي للأدوار والمسؤوليات مما يحدث تغييرات في فهم الجسد والهوية الجندرية.

هذه التحولات العديدة والكثيرة (وما ذكر هو على سبيل الأمثلة) اذنت بتوجه البشرية نحو تقبل فكرة الجسد المختلف وقبول تغيير الأعضاء التالفة وتصدير هوية جسدية وفقا للأهواء والرغبات، لقد مهدت الطريق للبشرية للتخلي عن الجسد المقدس عن الانسان الطبيعي لقد وضعت البشرية على سكة انسان ما بعد الحداثة انسان أطلق عليه اسم الانسان المعزز او بمعنى آخر الانسان الفائق.

7-تحسين الانسان انه الانسان الفائق

يقول فيليز كزافييه*، "تغزو الإنجازات التكنولوجية حياتنا إلى حد ستخلق معه نوعا بشريا جديدا منا، هذا هو أمل أنصار حركة الإنسانية العابرة، وهي عائلة من الباحثين ورثة الخيال العلمي وقناصي الخلود" (فرانسوا، 2019)

الجسم البشري المعزز كان في الماضي القريب ينظر اليه انه ذاك الخيال العلمي الذي نراه في أفلام هوليود الكثيرة، من بين هذه الانتاجات السنيمائية على سبيل المثال لا الحصر فيلم" Upgrade**"** الذي أنتج سنة2018 من اخراج **لي وانيل** (والذي تدور احداثه في المستقبل القريب، تغزو التكنولوجيا كل جانب من جوانب الحياة اليومية تقريبًا. ولكن عندما ينقلب عالم غراي كاره التكنولوجيا رأسًا على عقب، فإن أمله الوحيد في الانتقام هو زرع تجريبي: شريحة دقيقة تسمى Stem) (IMBD, 2023)، في هذا العمل السنيمائي الشخصية الرئيسية تكره التكنولوجيا لكن ظروفا تتعلق بحالة الاعاقة التي المت به يضطر للاستعانة بالذكاء الاصطناعي ليحسن من اداء جسده، لتنتهي قصة الفيلم بالسيطرة الكاملة للذكاء الاصطناعي على الانسان.

هذا السيناريو يقدم لنا صورة عما يمكن ان يكون عليه مستقبل الانسان، اليوم وبعيدا عن الخيال نجد الجسد البشري اضحى معززا بالأطراف الاصطناعية، وأجهزة ضبط نبضات القلب، والعدسات اللاصقة وغيرها من الأعضاء البيونية او الأجهزة النانوية، ان هذا التوجه لم يكن وليد الصدفة العبثية فالإنسان باعتماده وقبوله بأن يكون للتطور التكنولوجي حصة الأسد من يومياته، قد فتح الباب للعلماء للتفكير بجد في تلك الرغبات القديمة، الخلود، السيطرة، الشباب الدائم، الجسد القوي، هؤلاء العلماء يسمون بالإنسانيين العابرين، وهم ينحدرون في أغلبهم من تربة الثقافة الأمريكية المضادة لسنوات الستينيات، ويتغذون في معظم الأحيان من روايات الخيال العلمي، معلمون في بعض الأحيان، وحالمون، كما أنهم علماء متمرسون، بيولوجيون وفيزيائيون أو فلاسفة لهم جامعاتهم الخاصة في وادي السليكون (جامعة راي كورزويل الخصوصية) أو في أكسفورد (معهد نيك بوسطروم لإنسانية المستقبل) من بين هؤلاء جوليو بريسكو Giulio Prisco (فيزيائي ومهندس معلوماتي، وعضو سابق في المركز الأوروبي لفيزياء الجزيئاتCERN) الذي يقول في احدى مقابلاته " إنَ تعديل الإنسان جذريا باستخدام التكنولوجيات الجديدة شيء ممكن ومرغوب في آن واحد" (فرانسوا، 2019) ، وبما ان انسان الالفية الثالثة اضحى لا يفارق هاتفه الذكي و ساعته الذكية، و حاسوبه الصغير الذي كان في وقت مضى بحجم صالة العاب رياضية، و الذي اضحى يدخل الجيوب فلن يكون من المدهش ان يدخل المكون التكنولوجي الجسم البشري، فينتج انسانا معززا ، يتوقع بعض العلماء المستقبليين مثل كورزويل ان الانسان بحلول سنوات 2030 و 2040 سيكون قادرا على تغيير جسده عن طريق الوصول بمنتهى السهولة إلى البيئات الافتراضية مع بقائه في الواقع بفضل أجهزة نانوتكنولوجية متداخلة مع الدماغ ، كما ستتيح ليونة جسم الإنسان الجديد خوض تجارب جمالية وعاطفية شديدة، إذ سيتخلص من الشكل والهوية المحددين، بحيث سيستطيع أن يتغير باستمرار حسب إرادته، وذلك بفضل أجهزة نانوية ستكون حاضرة في البيئة (فرانسوا، 2019)، نلاحظ هنا ان الجسد هو الهدف الأول في عملية التحسين و هذا لمحاولة تجاوز اول عقبة و هي الشيخوخة و الوصول الى جسم لا يموت اقله في

عمر صغير، كما يسعى الانسان الى من خلال الدعوة لتحسين الجسم من اجل ربما وضع تصور جديد لمعنى الانسان او وضع معايير جديدة لتعريف هذا الأخير ، انه مشروع يعمل على تحقيقه مجموعة علماء (ربما يبدو الامر من وحي الخيال لكن لا يجب ان ننسى لقد حلم الانسان في الماضي بالطيران و التحليق في السماء و الامر اليوم اصبح بديهة) ، التطور التكنولوجي سيسمح بتطوير الملكات البشرية سيعزز الاتصال البشري سيحسن القدرات البدنية و الصحية ،سيحسن من فعالية العمل و التعليم، وتغييرات جذرية في العلاج، رفع القدرات الحسية والمعرفية، تحسين فعالية الفرد والجماعة انه تحسين على كل المستويات ، يعرف جيمس كانتون تحسين الأداء البشري بقوله: " يمكن أن يعنيَ التحسينُ الجسدي، بالنسبة لمن عانى ضعفا بدنيا، استعادة القدرة على البصر أو الحركة، ويمكن أن يعني التعريف نفسه، بالنسبة للشخص المسن، القدرة على استرجاع طراوة الذاكرة، أيضا وبكيفه أكثر جرأة، يمكن لتعريف تحسين الإنسان أن يؤدي إلى تزويد الناس بقدرات متقدمة على السرعة والكلام وبمهارات أو طاقات أكبر من تلك التي يملكها البشر اليوم" (james, 2002)

التعريف الذي بين أيدينا يرسم طريقا واضحا ومباشرا للهدف المنشود، طريق يفتح المجال للقضاء على النقطة الأضعف للبشرية وهي الجانب الفيزيولوجي والادراكي، ولهذا السبب تدفع الكثير من الجهات العلمية نحو الأبحاث التي تركز على تحسين هاتين النقطتين بالذات ، و النتيجة قد تكون جسدا قويا شابا يستفيد من المزج بين البيولوجي و التكنولوجي جسد بأطراف اصطناعية روبوتية ، ستسعى التكنولوجيا للتدخل في علم الوراثة الجزيئية وبيولوجيا الخلايا لتعطي هذا الجسد القدرة على تمديد متوسط عمر الإنسان جذريا عبر تحييد المجموعات الجينية التي تتسبب في إتلافه، في مكان اخر من جسم الانسان ستتدخل التكنولوجيا في جزيئات الدم ، حيث ان الروبوتات النانوية ستجري في دم الانسان وتبقيه في صحة جيدة روبوتات تتيح على الخصوص مكافحة السرطان او مرض السكري مثلا ،هذا التطور المستمر و السريع لربما سيقودنا في يوم ما لتجاوز الحدود الطبيعية للجسد البشري ربما ستكون عودة الانسان لعيش قرون كثيرة و عديدة امر بسيط (لم لا لقد فعلها الانسان من قبل و عاش مئات السنين) ، بعد أن تحرر الانسان جزئيا بالفعل من القيود الجغرافية عن طريق الهاتف المحمول أو الأنترنت، لم يبق إلا إسقاط الحاجز الكبير الآخر الذي يفصله عن الخلود: وهو حاجز البيولوجيا ويمكن أن يتم هذا عند نقطة تقاطع الواقع الافتراضي والذكاء الاصطناعي (فرانسوا، 2019).

ان التكنولوجيا تدفع بهذا الجسد خارج حدود البيولوجيا لتجعل منه وسيلة قابلة للاندماج مع الالة ليكتسب قدرات جديدة مثلا عدسات لاصقة ذكية او ربط مباشر للجسد بألعاب الفيديو و دعم الهوية الافتراضية مثل الواقع الافتراضي لشركة ميتافيرس (فايس بوك سابقا)، تفتح هذه الميزات وغيرها كثير و الناتجة عن تحالف الجسد مع التكنولوجيا الذي أصبح ممكنا أخيرا، بفضل التطورات التي حققتها العلوم البيولوجية نتيجة التصغير والرقمنة والحوسبة، تفتح تلك الميزات جسد الإنسان على مجموعة من الممكنات ظل استكشافها لحد اليوم مقصورا على الخيال العلمي و هذا سيتيح ربما تطوير نموذج جسد ما بعد إنساني يسمى سايبورغ او انسان نصف آلي هو تجميع مركب من الجسم الحي والآلة.

ما يجب ذكره ان مع هذه التطورات والتقنيات، يثير مفهوم الإنسان المعزز العديد من الأسئلة الأخلاقية والاجتماعية حول تأثيرها على الجوانب المختلفة من الحياة البشرية، بما في ذلك الهوية الجسدية، والتفاعل مع البيئة، والتعايش مع التنوع، والحقوق والمسؤوليات الجديدة، مما يحيلنا على اهم فكرة في هذه الورقة البحثية هي نحن نعيش في هذا الزمن بداية زوال المجتمعات الطبيعية او العادية لصالح مجتمع شبه آلي، ربما نحن على اعتاب مرحلة انقراض الانسان الحديث.

8-الخاتمة: إنقراض الهوموسابينز

الانسان العاقل هذا الفصيل الذي خضع لعديد التجارب الحياتية والتاريخية واستطاع من خلال عقله التكيف والتطور والمناورة والوصول الى مراحل من الحياة المتطورة مالم يقدر عليه اسلافه السابقين **(ربما؟!!)**، فلقد تمكن من تجاوز حدود وقوانين الانتقاء الطبيعي ليستبدلهم بقوانين الذكاء الاصطناعي، نظام الانتقاء الطبيعي (من مبادئ النظرية الداروينية) الذي استمر لملايين السنين يواجه خرقا لم يحدث من قبل ،اليوم اضحى علماء يهندسون داخل المخابر

تعديلات جينية على الغذاء والحيوان وحتى الانسان ، الثورة البيوتكنولوجية و النانوية تعتبر الأهم في التاريخ البشري لأنها اوصلتنا الى احتمالات لم يتصورها الانسان قبلا التحول الجنسي ابسط مثال، او صنع أعضاء بشرية قصد الزرع، ان هذا الانسان وضع الخطوة الأولى على طريق الصنع و السيطرة و الخلق في محاولة مضاهاة الاله ان صح التعبير، في مكان آخر تظهر تكنولوجيا أخرى تجمع بين الحي و الالة و ما تركيب الأعضاء البيونية او عدسات ذكية او أجهزة ضبط القلب او حتى الحواسيب و الهواتف المحمولة الا امثلة عن اندماجنا رويدا رويدا مع الالة.

في سنة 1818 نشرت ماري شيلي رواية فرانكنشتاين (هاراري،2018)،وهي قصة عالم يخلق كائنا اصطناعيا فيخرج عن السيطرة و يتسبب بفوضى كبيرة، ان هذه القصة وان كانت من وحي الخيال الا انها تسلط الضوء على رغبة الانسان في لعب دور الخالق و هو امر شديد الخطورة خاصة مع التطور التكنولوجي الحاصل، فالوتيرة المتزايدة في الاعتماد على الالة و التكنولوجيا النانوية ربما يؤدي بنا الى التحول لفصيل جديد، فالإنسان بالرغم من كل التطور الحاصل مازال لم يضع حدودا لما يريد ، نحن اليوم اكثر تقنية مما مضى و هنا مكمن الخطر فالإنسان اليوم لا يلقي بالا لما ينتج من فرط تدخله في المسار الطبيعي للمخلوقات و لا يرغب في تحمل المسئولية، ربما في المستقبل القريب سينجح البشر في استبدال أجزاء من الجسد الإنساني بأعضاء اكثر قوة و صلابة ، ربما سينجح بفضل التكنولوجيا من الوصول الى سيالة عصبية نانوية من خلالها يتجاوز المشكلات الفيزيولوجية و العاهات و الاعاقات، ربما سيتمكن كذلك من الوصول الى إطالة الاعمار و الاستمتاع بجسد الشباب، ربما سينتج الانسان ادوية تقهر الامراض المستعصية، لكن ... بالمقابل ماذا إذا فقدنا السيطرة ماذا لو تحولت النعمة الى نقمة؟ هنا الإجابة البسيطة هي ان الانسان وضع نفسه على طريق الانقراض، الهوس بالقوة والخلود والسيطرة يدفع الى الاعتماد المهووس بالذكاء الاصطناعي بالتحسين البيوتكنولوجي سيكون الانسان امام معضلات أخلاقية واجتماعية، مشاكل في وضعيات قانونية، فوضى المعايير، لنأخذ مثالا بسيطا و نفترض ان شابا تعرض لحادث خطير و بداعي الحفاظ على حياته و مستقبله و عودته لحياة شبه طبيعية قمنا بزرع أعضاء بيونية ، يد و رجل و زودنا بصره بأخرى صنعت في المخابر(هذا السناريو اليوم مع التطور التكنولوجي ليس بخيال انه واقع ملموس وسط مصابين الجيش الأمريكي) ، رغم ان الهدف نبيل لكن المجتمع كيف سيتعامل مع هذا النوع الجديد من الانسان النصف طبيعي ان صح القول، لقد فتح الانسان الباب لما يسمى بالتنوع البشري فينتج جسدا جديدا بكل ما يحمله الجسد من ابعاد و قيم جمالية و أخلاقية ، هل سيتمكن ذاك الشاب من الزواج بإمراة طبيعية ام سيبحث عمن تشبهه خشية الرفض، وهل نحن مجبرون على إعادة تعريف الانسان، نحن هنا امام بداية التغير في الطبيعة البشرية، لنرجع لذاك الفتى الذي اصبح يملك اعضاءا تعطيه تفوقا على من هو طبيعي الان نحن امام مشكلة التفاوت الجسدي و منه الاجتماعي و العملي كيف بالإنسان ان اصبح استبدال الأعضاء الطبيعية بأخرى بيونية ذكية موضة محبوبة و مرغوبة ، هنا نحن امام بداية الحياة الثقافية التقليدية التي ستصبح تحت مسمى الثقافة الكلاسيكية ، سيؤدي ذلك إلى فقدان جوانب من الهوية البشرية ، بكل بساطة سيجد الانسان نفسه امام مجتمعات نصف الية بأجساد محسنة بطريقة عيش غير تقليدية يملئ فحواها الذكاء الاصطناعي الذي ربما سيكون بذرة انقراض الانسان الحديث انسان الهوموسابينز.

المراجع

1-عبد الرحمان، أ .حمدعوف .**(2013)** ***طب النانو: تكنولوجيا النانو و تطبيقاتها في الطب*** .مصر :الهيئة المصرية العامة للكتاب.

2-النصير، ياسين .(2023) ***كينونة*** .وكالة الانباء العراقيةhtml.--https://www.ina.iq/112709 .Consulté le 08 23, 2023, sur :

3-سالم، محمد منير .(2011) .**طب النانو : الافاق والمخاطر** .مجلة عجمان للدراسات والبحوث، المجلد 10، ص ص .75-99

4-عودة، محمد .مكاوي .(2000) .***المكتبة المدرسية في مواجهة ثورة المعلومات دراسة نظرية وتطبيقية*** .بيروت :دار الكتاب اللبناني.

5-فرانسوا .جاكوب .(2019) .***الانسان في مهب التقنية من الانسان الى ما بعده*** .ترجمة محمد اسليم، فاس :مطبعة بلال.

6-كروديرو، خوسيه .لويس .(2009) .***الدين والعلم و الخلود في واغنر: الاستشراف الابتكارية و الاستراتيجية،*** ترجمة صباح صديق الدملوجي ,مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ,لبنان.

7-لوبروتون، دافيد .(1997) .***أنثروبولوجيا الجسد و الحداثة*** ،ترجمة محمد عرب صاصيلا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع .بيروت

8-محسن، حاتم حميد .(2023) .***ما بعد الحداثة و الدين ، رؤية سوسيولوجية*** ، على شبكة النبأ المعلوماتية : http://m.annabaa.org/arabic/referenceshirazi/27203

9-محمد رياض (2014). ***الانسان دراسة في النوع والحضارة***. مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة.

10-محمد، إيهاب عبد الرحيم (2023) ***بيونيك،*** على: https://www.marefa.org

11-ميلر، الان ادوارد(2010) ، ***الطب الرقمي الرعاية الصحية في عصر الانترنت***، ترجمة د. الحريري، الدار العربية للعلوم ناشرون. لبنان

12-هاراري، يوفال نوح .(2018) .***العاقل تاريخ مختصر للنوع البشري،*** ترجمة. حسين العبيري وصالح بن علي الفلاحي الامارات العربية المتحدة :دار منجول للنشر.

13- Grace، D. (1997). ***Believing without belonging: a framework for religious transmission***. *recherches sociologique*(28), 17-37.

14-Hert, M. (2023) Récupéré sur www.msdmanuals.com: https://www.msdmanuals.com/ar/home/***المحة عامة عن زراعة الاعضاء*** (Rush. University médical center, Éditeur). -عن-عامة-لمحة/الأعضاء-زراعة/المناعيَّة-الاضطرابات-زراعة-
#:~:text=زراعة%20الأعضاء%20هي%20عملية%20إزالة%20الجسم%20أو%20إلى%20جسم%20آخر.&text=وتستخدم%20عمليات%20نقل%20الدَّم%20في%20زراع%20الأعضاء%20أو%20الأنسجة%20الصلبة

15-IMBD. (2023). ***upgraded.*** Consulté le 08 31, 2023, sur IMBD : https://www.imdb.com/title/tt6499752/

16-james, C. (2002). ***Converging technologies for improving human performance: integrating from the nanoscale***. *Journal of nanoparticle research 4*, pp. 281-295.

17- le Breton, D. (2017). ***Le transhumanisme ou l'adieu au corps***. *Écologie et politique, 2*(55), 81-93